

إحياء ذكرى الحسين (ع) إحياء لمعالم الدين الحنيف

عاماً إثر عام، ومع كل إطلالة لشهر محرّم، تتجدد شعلة أحزان أهل بيت النبوة في قلوب المؤمنين، فتنفجر لديهم ألماً ولوعة وانشداداً عاطفياً وعقلياً كبيراً إلى رحاب سيد الشهداء الإمام الحسين (ع) وإلى الصفوة المباركة من شهداء كربلاء وأبطالها الميامين.

وكان تلك الواقعة المريعة بجانبها المأساوي المفعج، كما بوجهها الرسالي البطولي المدوّي، ما زالت حاضرة أمام النواظر، تطرق أسماع التاريخ، وتفرض نفسها بقوة على الأجيال.. وأنتى لتلك السنين المتطاولة أن تحجب حضور النهضة والشهادة الحسينية المباركة عن عقول المؤمنين الأحرار وضمائرهم. وهذا ما عبّر عنه القول المأثور عن النبي (ص) بحق حفيده المفدى: "إن لقتل الحسين حرارة في قلوب المؤمنين لن تبرد أبداً".

إن هذه النهضة العظيمة بمنطلقاتها ومراميتها ونتائجها وأصدائها اللاحقة، كأنما حدثت لا لتكون لزمانها وظروفها الخاصة فقط، وإنما لتكون الحدث الأبرز والأنصع في حياة المسلمين ومسيرة الإسلام بعد النبي (ص). وكأنما قدّر لها أن تكون البوصلة العملية التي تحدّد الاتجاه الصحيح، الذي ينبغي أن يسلكه أهل الإيمان في كل عصر، حينما تتشعب أمامهم الطرق وتضيق العالم، وحينما يضطرون لمواجهة الانحراف والطغيان والشر الذي مثله في وقتها خصوم الحسين (ع)، وليكون الحسين بشخصه الكريم وبما يمثّل من مقام رفيع ومواقف متميزة ونموذج لا يبارى في الصدق مع الله والأمة، والجرأة في الحق، الدليل الذي يجسّد قيم السماء ورسالة سيد الأنبياء (ص).

وهكذا، ومنذ أن الجلى غبار واقعة الطفّ عن هول ما أصاب آل الرسول (ص) وعن عظيم ما طعن به الإسلام على يد الطاغية يزيد بن معاوية، دخلت قضية الإمام الحسين (ع) في ضمير الأمة، كما تفاعلت صورة عاشوراء وكربلاء في وجدانها، فظلت تعيشها وتستعيد مجرياتها ولحظاتها المؤثرة على مرّ الأزمان، لتستلهم قيمها العظيمة المميزة من ناحية، ولتبقى من ناحية أخرى شعلة الولاء والوفاء لآل الرسول (ص) حيّة متوهجة في القلوب الحية..

وهذا التوجه في تربية الأمة وإعدادها كي تبقى متمسكة بقيمها وقضاياها المحمّية، ومشدودة إليها على الدوام، هو ما ميّز خطّ الأئمة الأطهار من أهل البيت (ع)، الذين عملوا دائماً من أجل أن يضاف "إلى القناعة الفكرية بالعقيدة رباط عاطفي، يضيف على القناعة الفكرية حرارة وقوة ومضاء في مواجهة الاضطهاد والصبر على الشدائد، ما يحافظ على التماسك أمام ضربات العنف، ويحيط الموقف العقلي بوهج عاطفي يرتفع بالعقيدة عن مرتبة الحالة العقلية الباردة، إلى الحالة الشعورية النابضة".

من أجل ذلك دعا أئمة أهل البيت (ع) إلى التشدّد في إحياء ذكرى الحسين (ع) وفاجعة كربلاء مهما كان الظرف، مخصّين هذه الواقعة عما عداها مما مرّ في تاريخ الإسلام وتاريخ أهل

البيت (ع) من وقائع حفلت بالكثير من المآسي والظلم والعسف، ذلك لأن ثورة الإمام الحسين (ع) المحيطة تمثل ذروة موقف المعارضة الذي قادة أهل البيت (ع) ضد الانحراف في فهم الإسلام وتطبيقه.

ولقد رويت عن أئمة أهل البيت (ع) منذ الإمام زين العابدين (ع) الذي حضر واقعة الطفّ وإلى الإمام المهدي (عج) نصوص كثيرة تحثّ على البكاء والجزع لمصاب الحسين (ع).. "وليس البكاء هنا أمراً شخصياً يتعلق فقط بعاطفة بشرية تتفجر أسى ولوعة على هذا المصاب الجلل، وإنما هو حزن مقيم على قضية دينية عامة تتمثل بالإمام الحسين (ع) وثورته. فالحزن ليس موقفاً عاطفياً فحسب، وإنما هو موقف مبدئي يعبر بواسطته المؤمن عن التحامه بالمبدأ". ومن هذه الأحاديث التي حثت على إحياء ذكرى الحسين (ع) وصحبه الأبرار على هذا النحو، قول الإمام علي بن الحسين (ع): "أيما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين (ع) دمعة واحدة حتى تسيل على خده بواه الله بها في الجنة غرقاً يسكنها أحقاباً...". وعن الإمام الصادق (ع): "إن البكاء والجزع مكروه للعبد في كل ما جزع ما خلا البكاء والجزع على الحسين بن علي (ع) فإنه فيه مأجور". ومن توجيهات الإمام علي الرضا (ع) في شأن إقامة المآم قوله: "من تذكر مصيبتنا وبكى لما ارتكب منا كان معنا في درجتنا يوم القيامة، ومن ذكر مصابنا فبكى وأبكى لم تبك عينه يوم تبكي العيون، ومن جلس مجلساً يحیی فيه أمرنا لم يميت قلبه يوم تموت القلوب".

بهذا الزخم الإيماني الصادق والتعلق الواعي بنهج أهل البيت (ع) تحوّلت مناسبة عاشوراء والمآم الحسيني الجامع عبر التاريخ، إلى مدرسة مستمرة لبيان الفكر الإسلامي الأصيل، وترسيخ وتفعيل مبادئ الإسلام وأحكامه وقيمه على كل المستويات الشعبية والخاصة. وما زلنا نشهد حتى اليوم فعل هذه المدرسة في مواجهة الانحراف والاستبداد والتحديات المتأتية من أعداء الدين والأمة، وقد عشنا في سنواتنا الأخيرة أمثلة ساطعة على ذلك.. من هنا ينبغي العمل بكل السبل السليمة المتاحة، لإبقاء شعلة هذه المدرسة مضاءة فاعلة، وذلك من خلال الأساليب المتعارفة والتي يأتي في طليعتها المجالس والمنابر والمواكب الحسينية الشعبية، التي برهنت أنها الأفعال والأكثر تأثيراً، ومن خلال وسائل الثقافة والإعلام الحديثة، التي أخذت تساهم بشكل فعال ومجدي في هذا المجال.

وما يجدر بنا قوله بصد الانتقادات والملاحظات التي باتت توجه بشكل موسمي، إلى أساليب وطرق إحياء هذه المناسبة العظيمة، ومنها الصادق المشفق كما المغرض المفتتت، هو أن ندع الناس يعبرون عن تأثرهم وتعلقهم بالحسين (ع) وقضيته، بالأسلوب الذي يرونه مناسباً وناجياً من واقعهم، شريطة أن يتوافق مع أحكام الشرع الحنيف وتعاليمه والمصلحة الإسلامية العليا، وأن لا يجافي الأمانة التاريخية والعلمية.. وهذا ما نتوخى بيانه على الدوام من علمائنا الأعلام ومن المحققين المتخصصين.

نور الإسلام